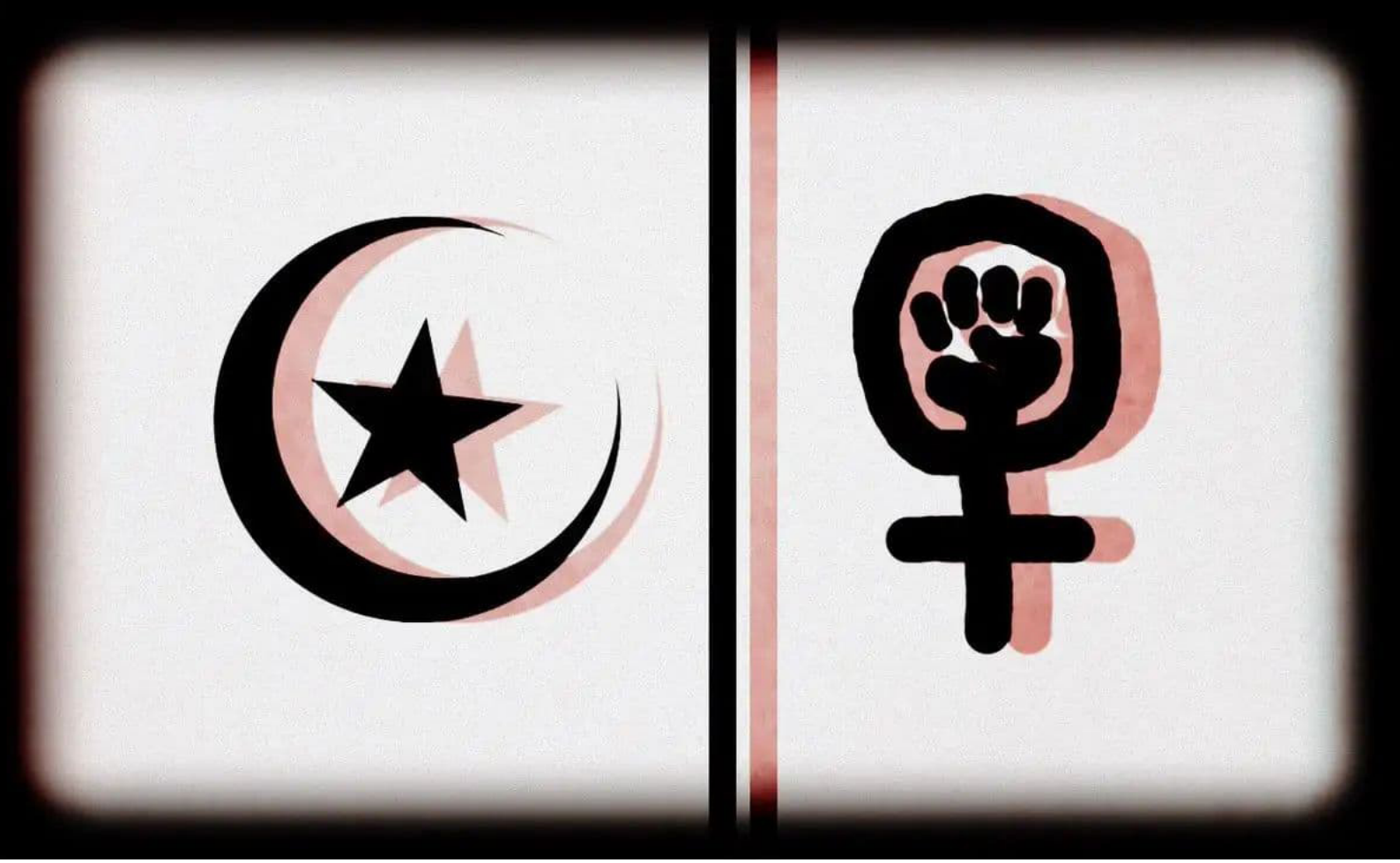

النِسْوية الإسلامية وصلتها بالفكر النِسْوي الغربي

تأليف: د. إيمان بنت محمد العسيري

استعراض وتقديم: عصماء الدخري

تاريخ النشر: 15 / 12 / 2021م

النِسْوية الإسلامية وصلتها بالفكر النِسْوي الغربي[1]: النِسْوية الإسلامية _ كما تَدعّي _ هي حركة تتبع للتيار التوافقي المنهزم للغرب و تُبين الكاتبة في نهاية هذة الورقة إشكالية نسبتها للإسلام؛ إذ أن مرجعياتها ليست الوحي ولا إجتهادات العلماء وإنما آليات وفلسفات مستوردة في الإستنباط والإحتكام،حتى أن بعض الباحثين وسموها بشكل دقيق بـ«العلمانية اللينة»

(١) نُشرت في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس ٢٠١٨م

وقد قسّمت الكاتبة هذة الورقة لثلاثة محاور:

الأول: النِسْوية الإسلامية مفهومها، وعلاقتها بالغرب:

بالرغم من كثرة التعريفات التي وضعت للحركة إلا أنّ الباحثة أحكمتها في التعريف التالي فهي:» كل فكرة أنطلقت من أعتقاد مبناه أن التمييز بين الجنسين ظاهرة تسود المجتمع المسلم، فمنهم من عدَّ النص الديني في زاته قائماً على التمييز، أو أن التمييز طارئ على النص ولا صلة له بالمعنى

الحقيقي له وإنما أُسقط عليه من خلال علماء الإسلام الذين بَيَنُّوه على نحو ما أرادوه هم لا ما أراده الله ورسوله منه، وهي تسعى لإعادة المعنى الحقيقي للنص وإخراج ما عداه من قراءات داخله فيه كانت بجهود المسلمين»

والواقع هو أن التمييز بمعناه العام هو شيء يحث الإسلام عليه في كافه المعاملات والعبادات التي تخص الجنسين وهو أمر لازم لتحقيق العدالة؛ إذ أن التفريق بين المختلفين واجب[1]، لكن ما تقصده الكاتبة بالتمييز هنا هو التمييز بمعناه الغربي، الذي يقصر المعني على مرادف الظلم فوجب التنبيه.

أما الأصول التي تستند عليها النِسْوية الإسلامية فهي:-

١. الفيمنولوجيا:

وهي تعنى إصطلاحياً: فهم اللغة وإدراك مناهجها وغوامضها، والعمل بأساليبها.

وهو من العلوم الغربية المستخدمة لقراءة التاريخ، و يعمد إلي إرجاع النصوص لزمانها وبيئتها التي خرجت فيها وغرض إستخدام النِسْوية الإسلامية لهذا العلم في تفسيرات نصوص الوحي هو للقول بتارخينية الإسلام وأنه لا يعدو على كونه صياغة للمجتمع الجاهلي وأن تغييره _ أي الإسلام _ واجب لتغيُر المجتمع الذي صدر فيه ومنه.

فتعالج النسوية الإسلامية الخطاب الإسلامي بأنه:» قمعي يسير وفق ثنائية الإباحة/التحريم؛ بمركزية وعي ذكوري لا يرى المرأة إلا من جانبها الجنسي»[ص٦٤١]

وأنها لذلك:»تعتبر المرأة وسيلة للتسري وإمتاع الرجل فقط»[٦٤٣]

فهي تفصل بين جسد المرأة وروحها وكأن الإسلام بمخاطبته وفرضه قواعد على المرأة المسلمة في لبسها ووظائفها الإنجابية أختزلها لمجرد جسد.

وهو خطأ منبعه التفكير البنيوي بأن الجسد منفصل عن الروح وطالما أن خطاب المرأة في أغلبه خطاب للتصرف في الجسد الأنثوي فهو خطاب تعجيزي ومحدود، تعالج الكاتبة هذا الخطأ بقولها:» أن النِسْوية/ الإسلامية تفصل بين الروح/ الجسد ولا يمكنها أن تستوعب تعلقهما ببعض وعلاقتها الحتمية؛ فالظاهر المتمثل في الجسد هو الأثر المترتب على الباطن المتمثل في الروح وما تحمله من أعتقاد وإيمان، وعلى هذا المعني فأن كانت الروح مسلمة فأنها _ في النِسْوية الإسلامية _ لا ينبغي أن يمثل السلوك الخارجي أي دلالة تعبر عنه وهذا من تناقضها وجهلها»[ص٦٤٤]

(١) «الأتجاة الشرعي يري أن مفهوم العدل يقتضي الجمع بين المتساويين والتفريق بين المتفرقين... (فالعدل) يشمل التسوية والتفريق، بينما (المساواة) تشمل التسوية فقط..»

(محمد الدوسري، التمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام،ص٢٤، ٢٥ بتصرف يسير)

٢. الهيرومنطقيا

وهو علم أستعمل في الأساس في ترجمة وتأويل كتب أهل الكتاب.

وأصحاب التاؤيل الحديث يروون أن الإنطلاق بفكرة مسبقة عن النص يضَّعف قدرة المفسر على الترجمة الصحيحة لهذا النص.

و بذلك يقصدون أن إنطلاق مفسري الوحي من رؤيتهم المُعظمة للنص والذكورية الموروثة من المجتمع القديم أضعف مصداقيتهم في التفسير.

فتقدح النسوية الإسلامية في تفسيرات الوحي بهذا الزعم:»فإذا كان النص ثابتاً فإن معانيه متغيره» [ص٦٤٥]

حسب الذي يقرأ النص وما يريد منه.

لذلك تطالب النسوية الإسلامية بصفاقات مثل: «القراءة الجندرية للقرآن»

وهو سلاح ذو حدين فالقول بأن المفسر لا يمكنه أن يتجرد هو مما يمكن استخدامه ضد النسوية الإسلامية نفسها،

فهي حين تفسر النصوص القرآنية يتضح ميلانها للأصول الغربية النسوية في التفسير والتأويل؛ بمصطلحات مثل:الجندر، النظام الأبوي، الذكورية وغيرها.

لكن ما يجلب لمفسري القرآن مصداقية أكثر في تفسيراتهم كونهم في الأغلب أصحاب اللغة والأقرب لعصور التنزيل، وإجماعهم وهم من هم على تفسيرات النصوص.

وهي روافد ثلاثة تقويّ حجية تفسيراتهم على من جاء متحاملاً بعد قرون من التنزيل لا يفقه في اللغة إلا ما إستقاه مبسطاً مهوناً في الكتب دون إجماع قاطع.

٣. التاريخية

وهي وجهة نظر تقوم على أعتبار موضوع معرفي بصفته نتيجة حالية لتطور يمكن تتبعه في التاريخ.

وهي ترغب في دراسة التاريخ لذاته إذ أن هدف التاريخ عندها هو أن يَروَي ويَسرَد فحسب، وليس للإعتبارات المتعالية ككون النص منزلاً من لدن حكيم خبير عالم بشؤون عباده أي مكان هنا.

فتفسر كل نص بأعتباره ملزماً لزمانه لا غير، خارجاً من أي أعتبارات تخصه وحده.

فمثلاً تُرجع النسوية الإسلامية وقوف صفوف النساء خلف صفوف الرجال في الصلاة لشيوع الخيانة الزوجية في ذلك الوقت والتحرش وإختلاس النظر.

والمقصود هنا زمن النبوة!

وبين الصحابة!

وبهذا التفسير فهي تهدم كل الحكم الإلهية بأعتبارها مؤقتة»بتارخينيتها»

٤. التفكيكية

حركة ما بعد حداثية تحاول هز الأساسيات الميتافزيقية للحضارة والفلسفة الإنسانية، واستخدمت للدلالة على نمط قراءة للنصوص ينسف ادعائها المتضمن أنها تملك أُسساً كافية في النظام اللغوي الذي تستعمله؛ أي أنها تعتمد على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة.

وقد أدخل عليه فوكو مقولة:»إن من يملك السلطة يملك اللغة» فتوجه أثر ذلك بالتفكيك لأكبر الخطابات تأثيراً وسلطة ألا وهو الخطاب الديني.

و أستخدم الخطاب النسوي التفكيكية في نقد اللغة ودلالتها التي أعتبرها متحيزة للرجال.

وحاولت صياغة اللغة لتكون أكثر نِسْوية، وقد أتجهت بمطلبها هذا صوب نصوص الوحي والتفسيرات المتفقة لها، تحت حجة أنها متحيزة للرجال وذكورية واقصائية.

٥. الفيمنولوجيا علم الأناسة

هي العلم الذي يدرس الإنسان أو الإنسانية بصورة عامة، ويهتم بأصول الإجتماع البشري ونشأة التفكير الإنساني والثقافي.

ويعنى بمراقبة التقنيات والدلالات والعادات والتقاليد والاخلاقيات.

و الانثروبولوجيا الدينية بالأخص تهتم بدراسة التشريعات الدينية ضمن البنيات الإجتماعية وتسعي من خلال ذلك إلى توصيف مقيد بالتاريخ والظروف لتفسير الوحي تفسيراً دهرياً.

ضاربة بذلك ارأء المفسرين السابقين وعلماء المسلمين عرض الحائط بحجة «ذكوريتهم»

المحور الثاني: نماذج لمراجعات (نسوية/ إسلامية) للخطاب الإسلامي:

ويتضح من المبحث السابق ضبط النِسْوية الإسلامية لتفسيرات النصوص ليلائم الدين الإسلامي اجندتها،فهي على قول ملاك الجهني:» جاءت لإسلمة النسوية وأنتهت لنسونة الإسلام»، لذا سنعرض هنا بعض التفسيرات النِسْوية المنحرفة للنصوص كبرهنة على الآليات السابقة،

مثل تفسيرهن لقوله تبارك وتعالى:

{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم} (التوبة:٧١)

حيث تعتقد النسوية الإسلامية أن هذة الأية هي:»المثال والشاهد على حقيقة العلاقة الجندرية لا التمايزية، وهو يعني الأعتراف بالمسئولية والولاية لكليهما» [ص٦٦٠]

وتهمل التفسير المعترف به والمتواتر وهو أن معني الآية هو توضيح المساواة بين الجنسين في التكاليف من صلاة وزكاة وغيرها لا المساواة على المطلق.

مثال آخر للتفاسير:

{الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}

فترى النسوية الإسلامية أن القوامة هي بمعني الإنفاق على المنزل نظير قيام المرأة بمتطلبات المنزل والحمل والرضاع، وهذا هو الظرف الطارئ المستلزم للقوامة وهي ليست شرطاً دائماً.

نكتفي بهذين النموذجين في التفسير الجندري للقرآن حتى لا نُسهب.

المحور الثالث: أوجه الصلة والإختلاف بين الفكر النِسْوي الغربي والنسوية الإسلامية

تنقد النسوية الإسلامي الدين الإسلامي من نفس منطلقات نقد الفكر النسوي الغربي للنصوص الدينية المسيحية واليهودية.

وأن نتاج تفكيرها وعناصره موغلة في المادية، لذا الفصل بينها وبين النسوية الغربية هو أمر عسير، تقول عنها الكاتبة:» تؤكد الدراسات النقدية أن جُلّ ما تستطيع النسوية/الإسلامية تقديمه هو محاوله تقديم صور إسلامية جديدة في فهم المساواة الجندرية ولتمكن مزيداً من الفرص الإجتماعية، وتطوير إمكانياتهن الخاصة» [ص٦٧٥]

والحركة النسوية الغربية أكثر تميزا من الحركة النسوية الإسلامية لكون الأولى آكثر نضجا في الاعتراف بالمشاكل التي تعانيها نظرياً، وقد يكون ذلك لفارق الزمن بين الحركتين.

نختم بهذا الإقتباس الجامع المانع:

«أن النسوية الإسلامية في الحقيقة ترفض الإحتكام للنصوص الشرعية، وتزعم بأن الخلل ناجم من التفسيرات التقليدية لها، في حين أن السعي لإستبدال المعني الظاهر للنصوص، والتي لم تخرج من إطار النص والحكم التشريعي إلى قراءات حداثية يعني أحد أمرين؛ أما العودة للنصوص وظاهرها كما نزلت فلا يكون هناك حاجة لنسوية إسلامية، وإما ظهور نسوية بغطاء إسلامي يتبني قراءات حداثية معاصرة للنص يخرج بها من دائرة التشريع لدائرة العلمانية ولا حلول وسط يمكن الوقوف بينهما»[ص٦٧٦]